

العمل



دقّت الساعة معلنة الثالثة بعد الزوال، أسرع في ارتداء ملابسها، جمعت أوراقها، وقبّلت يد أمّها المقعدة على الكرسي المتحرك، طالبة منها الدّعاء لها بال توفيق، ثمّ هبطت من الدرج، كي لا تتأخر عن موعدها، كانت تنتظر هذا العمل على آخر من الجمر، بعدها ترددت على الكثير من المدارس تنشر سيرتها الشخصية، فقد يئست من تدريس الساعات الغصافية لأبناء الحي بثمن بخس لا يكفي حتى لحاجيا تها.

في المقابل، كان حميد سائق سيارة الأجرة متوقعاً في الشارع الرئيس، رأته من بعيد ففرحت بوجود سيارة أُجرة في هذا الوقت العسير الذي تقلّ فيه، فهذا هو وقت الاستراحة. اقتحمت السيارة من دون أن تستاذن: «مدرسة الأمل، شارع الأنوار، لو سمحت...».

رفع عينيه الحمراويتين، ونظر في المرأة، لم ينبع ببنت شفة، وشغّل محرك السيارة.

سناء الرحيمي، 26 سنة، حاصلة على إجازة في الأدب العربي، وشهادة ماجستير في الأدب النثري، وشواهد أخرى في مجالات أخرى.. وسألت سعيدة بالعمل ضمن مجموعة المدرسية.

سمعها تردّد كلماتها، نظر إليها نظرة بلاء وغمغم في صمت، لم تتبّع ما قاله، فقد كانت مشغولة في تكرار تقديم نفسها.

كانت مُوشكة أن توقف ذكرياتـه، تبسم ابتسامة نكراـء، وأردفـ: لو كانت الدراسة مجـديةـ، لـكـنتـ في عملـ غيرـ هذاـ.. عـالـمـ أـخـرـقـ، وأـنـاسـ سـادـجـونـ، لاـ يـعـرـفـونـ مـصـلـحـتـهـمـ إـلاـ بـعـدـ فـوـاتـ الأـوـانـ. يـسـيرـ بـبـطـءـ كـمـاـ لـوـ أـنـهـ يـبـحـثـ عنـ شـخـصـ، اـنـتـبـهـتـ لـسـيرـهـ الـبـطـيـعـ، أـحـسـتـ كـمـاـ لـوـ أـنـهـ تـرـغـبـ فـيـ حـمـلـ السـيـارـةـ وـالـمـضـيـ بـهـ إـلـىـ العـنـوانـ المـطـلـوبـ، فـلـاـ تـحـبـ أـنـ تـتأـخـرـ عنـ موـاعـيدـ كـهـذـهـ، فـأـرـبـابـ الـعـلـمـ يـنـتـظـرـونـ أـيـ هـفـوةـ لـرـفـصـ أـيـ مـتـقـدـمـ، وـهـيـ التـيـ فـرـحتـ كـثـيرـاـ بـعـدـ اـتـصـالـهـمـ بـهـاـ وـطـلـبـهـمـ مـقـاـبـلـتـهـاـ الـيـوـمـ، إـجـرـاءـ مـقـاـبـلـةـ شـفـوـيـةـ.

سـنـاءـ الرـحـيمـيـ...

رنـ» الـهـاـتـفـ، أـسـعـ فـيـ الرـدـ»، بـصـوـتـ خـافـصـ: «ـحـاـضـرـ، لـنـ أـتـأـخـرـ، جـهـ زـوـاـ المـكـانـ...».

كـانـ التـجهـيزـاتـ الـكـبـرـىـ قدـ أـخـذـتـ مـكـانـهـاـ، السـرـيرـ فـيـ الـوـسـطـ مـحـاطـاـ بـالـأـضـوـاءـ الـبـيـضاـءـ، وـبـدـئـ بـتـحـضـيرـ الـأـدـوـاتـ. أـحـكـمـ إـغـلاقـ أـبـوـابـ السـيـارـةـ، وـزـادـ مـنـ السـرـعـةـ، وـغـطـّىـ أـنـفـهـ وـفـمـهـ، ثـمـ» «ـتـشـشـ...».

كـانـ الشـمـسـ قدـ أـشـفـقـتـ وـأـذـنـتـ بـالـغـرـوـبـ. اـسـتـيقـظـتـ مـنـ غـفـوـتـهـاـ، حـينـهـاـ كـانـ السـيـارـةـ قدـ أـخـذـتـ مـنـحـىـ آـخـرـ، بـيـدـيـنـ مـكـبـلـتـيـنـ، وـرـأـسـ يـعـجـ بـالـصـدـاعـ، تـحـاـولـ أـنـ تـسـتـرـجـ وـعـيـهـاـ.. رـنـ» الـهـاـتـفـ مـجـدـداـ، بـنـفـسـ النـبـرـةـ: «ـكـلـ» شـيـءـ عـلـىـ مـاـ يـرـامـ، قـارـبـنـاـ عـلـىـ الـوـصـولـ».

استـلـقـتـ الـمـرـيـضـةـ عـلـىـ السـرـيرـ، بـدـأـ الطـبـيـبـ بـالـتـخـدـيرـ، تـحلـقـ أـوـلـادـهـ خـارـجـ الـغـرـفـةـ، أـوـلـادـهـ الـذـينـ بـخـلـوـاـ بـالـتـبـرـعـ لـهـاـ بـكـلـيـةـ تـرـدـ» عـافـيـةـ وـالـدـتـهـمـ، وـمـارـسـ كـلـ» وـاحـدـ مـنـهـمـ أـنـانـيـتـهـ، فـبـحـثـوـاـ عـنـ حلـ» يـرـضـيـهـمـ وـيـعـرـفـ مـسـلـسلـ مـعـانـاةـ أـمـهـمـهـ مـعـ سـاعـاتـ تـصـفـيـةـ الدـمـ، فـقـدـ اـتـقـقـ اـبـنـهـاـ الـبـكـرـ مـعـ أـحـدـ الـأـطـبـاءـ عـلـىـ إـيـجادـ مـنـطـوـعـ، أـوـ بـمـعـنـىـ أـدـقـ ضـحـيـةـ يـسـلـبـاـنـهـ كـلـيـتـهـ، وـيـجـريـ الطـبـيـبـ الـعـلـمـيـةـ فـيـ أـحـدـ مـسـتـوـدـعـاـتـهـ لـكـيـ تـمـ فـيـ سـرـيـةـ تـامـةـ.

بعـيـنـيـنـ غـائـرـتـيـنـ مـحـمـرـتـيـنـ، رـمـقـ لـوـحةـ الطـرـيقـ، لـمـ يـبـقـ إـلاـ عـشـرـ كـيـلـوـمـتـرـاتـ. كـانـ الطـبـيـبـ قدـ خـدـرـ الـأـمـ»، وـأـخـذـ أـدـوـاتـهـ وـوـضـعـ أـنـبـوبـ الـأـوكـسـجـيـنـ عـلـىـ فـمـهـاـ، بـيـدـيـنـ مـرـتـعـشـتـيـنـ أـخـذـ الـمـبـضـعـ، وـبـدـأـ الـعـلـمـيـةـ.. كـانـتـ سـنـاءـ مـازـالـتـ تـحـتـ تـأـثـيرـ الـمـخـدـرـ، سـلـمـهـاـ السـائـقـ لـلـمـمـرـضـاتـ وـأـخـذـ الـمـبـلـغـ الـمـتـفـقـ عـلـيـهـ، وـهـمـ بـالـخـرـوجـ إـذـ بـجـلـبـهـ تـعـلـوـ الـمـكـانـ، قـلـقـ وـاضـطـرـابـ، وـصـوـتـ يـنـبـعـثـ: «ـلـاـ يـخـرـجـ أـحـدـ مـنـ هـنـاـ».

تـسـمـرـ السـائـقـ فـيـ مـكـانـهـ، وـاضـطـرـبـ الـأـوـلـادـ، اـضـطـرـبـ الـمـمـرـضـتـانـ حـينـ جـهـتـ عـيـنـاـ الطـبـيـبـ، وـتـوـقـفـتـ يـدـاهـ عـنـ الـحـرـكـةـ كـأـنـهـمـاـ قـدـ شـلـلـتـاـ، حـينـمـاـ تـلـوـنـنـ الـمـبـضـعـ بـالـلـوـنـ الـأـحـمـرـ الـقـاتـمـ، وـرـأـيـ وـجـهـ اـبـنـتـهـ سـنـاءـ، التـيـ تـرـكـهـاـ بـعـدـمـاـ طـلـقـ أـمـهـاـ قـبـلـ خـمـسـ عـشـرـ سـنـةـ، وـلـمـ يـرـهـاـ مـنـ وـقـتـهـاـ.. عـمـتـ الـفـوضـيـ الـمـكـانـ.